في موقف المسيحية من الإسلام

الأستاذ الدكتور:
مسعود حايفي

أستاذ الأديان والمذاهب المعاصرة

جامعة الملك خالد

أبها – المملكة العربية السعودية

مقدِّمة:

رغم ما كان من مبادرات المسلمين إلى إعلان مبدأ الإخاء الديني مع أهل الإيمان كلهم بدءاً من المرحلة المكية، حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم في الأزمنة التالية التي حقق فيها المسلمون مبدأ التعايش مع أتباع الأديان المخالفة في واقعية لم تسبق في التاريخ، إلاّ أن عداء المسيحية للإسلام، وصراعها معه ظلّ قائما طيلة قرون عديدة وهو مايجعل الوقوف على منطلقاته وأسسه اللاهوتية والفكرية ودوافعه النفسية ، ضرورة متجدّدة. وإ هذا الأمر يقود بالضرورة إلى الحديث عن تاريخ المسيحية وسياقات نشأتها وتكوينها ، وعلاقتها باليهودية من حيث طبيعة الرؤية العامة للعالم والانسان والتاريخ.

-نشأة المسيحية:

إنّ التراث المسيحي المكتوب، والذي تعترف به الكنيسة كمصدر للديانة المسيحية، يعتمد على قسمين أولهما: **العهد القديم**: وهذا القسم هو الكتاب المقدّس بالنسبة لليهود. أما القسم الثاني فهو: **العهد الجديد**: والمتكوّن من الأسفار التاريخية (وهي الأناجيل الأربعة وأعمال الرّسل). وكذلك الأسفار التعليمية(وهي مجموع الرسائل الإحدى والعشرين+ رؤيا يوحنا). وقد استقر عند الكنيسة كما استقر عند عامة المسيحيين التسلسل التاريخي لكتابة هذه النصوص بافتراض أنّ الأناجيل الأربعة قد دوّنت جميعها في عهد المسيح، وأنّ أعمال الرّسل قد دوّنها القديس لوقا أحد تلاميذ المسيح، وأن رسائل بولس كتبت بعد الأناجيل لأنّ بولس قد ظهر بعد المسيح.

ولكن هذا الافتراض لم يصبح صحيحاً ومسلماً به عند الباحثين المسيحيين أنفسهم منذ القرن السابع عشر، فمنذ هذا التاريخ أصبح موضوع تاريخية النصوص المقدسة المسيحية، أهمّ الموضوعات التي شغلت مجال البحث عند مؤرخي الأديان، وقد استقر رأي هؤلاء بشكل يصل إلى الإجماع على أنّ التسلسل التاريخي لهذه النصوص هو كالآتي:

- **أولاً**: رسائل بولس وتشمل:
- رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي عام 50م.

– رسالة بولس الأولى إلى أهل روما وكورنتس وتسالونيكي**2** عام 57م

–رسالة بولس الأخيرة عام 63م.

ثانياً: إنجيل مرقس عام 64م والذي كتبه يوحنا مرقس الذي لم يكن معاصراً لعيسى المسيح، بيد أنه كان من المقربين للرسول بطرس.

ثالثا: أعمال الرّسل بعد عام 64م وقد كتبها لوقا الذي كان يعمل كطبيب يوناني في أنطاكية، وكان من تلاميذ بولس وأسس كنيسة في هذه المدينة.

رابعاً: إنجيل لوقا ما بين عام 80و90م

خامساً: إنجيل متى مابين عام80و90م

سادسا: إنجيل يوحنا وقد ظهر في أواخر القرن الأول الميلادي ومن هنا يتضح أنّ جميع الكتب المقدسة في العهد الجديد المعترف به من قبل الكنيسة قد تأثرت بشكل كبير بأفكار وأراء بولس، على الرغم من اختلاف هذه الأفكار والأراء جذرياً مع طبيعة رسالة المسيح عليه السلام.

وإنّ من نتائج هذا التأثير حسب بعض الباحثين المسيحيين، أنّ الكتاب المقدس المسيحي وبترتيبه التاريخي يصبح وثيق الصّلة بالعهد القديم، فقد جاء في تعليق للترجمة المسكونية للعهد الجديد مايلي:

" إنّ الإنجيل لم يضف شيئا إلى العهد القديم ، بمعنى أن ماورد في الإنجيل قد ذكر سابقا في العهد القديم. فما يهم [كاستنتاج من الإنجيل] هو إثبات أن الإيمان المسيحي في الأصل هو ضمن إيمان بني إسرائيل"[(1)]. وإن بولس– وهو مؤلف العهد الجديد بدون منازع يحاول من خلال رسائله إرساء الاستمرارية بين العهدين القديم والجديد، ويحدد سفر أعمال الرّسل بوضوح أنّ بولس يتكلم عن عيسى استنادا إلى شريعة موسى والأنبياء، وليس أكثر دلالة على ذلك من كلمة الوعظ التي ألقاها في المجمع اليهودي في أنطاكية: فبعد قراءة الناموس والأنبياء، بدأ بولس بتلاوة شريعة اليهود المقدسة والتي تلخص تاريخ بني إسرائيل وهو:

– الاختيار الإلهي والهجرة من مصر: "إله هذا الشعب، شعب إسرائل، اختار آباءنا ورفع قدر هذا الشعب طوال غربته في أرض مصر ثم أخرجهم منها بقوّة ذراعه"[(1)].

– إعطاء بني إسرائل أرض كنعان وهلاك الأمم السبع التي كانت تعيش في تلك الأرض: "وأباد سبع أمم في أرض كنعان وأورثهم أرضها"[(2)].

– ملك داود، الذي اتخذه الرّب ملكاً: "وأقام داود ملكاً عليهم وشهد له بقوله: وجدت داود بن يسّى رجلاً يرتضيه قلبي"[(3)].

وبهذا الشكل فإنّ بولس يعيد إخراج مفهوم التاريخ الذي تشكَّل خلال قرون من الوعد والقوّة (القاهرة) شكّله أولئك الذين كانوا يتباهون بانتصارات إله أقوى من آلهة الجماعات القبلية الأخرى، كما يعيد أيضاً مفهوم الشعب المختار والذي أدى عبر التاريخ دوره كاملاً في التعصب ورفض الآخر، فقد كان"يهوه" في مفهوم بولس إلهاً غيوراً، كما كان أقوى الآلهة والذي منح النصر للقبائل التي يحميها، والتي جعل منها"الشعب المختار" وفرض عليها حق بل واجب– إبادة كل الشعوب التي لا تشاركهم الإيمان به[(4)]. وقد جعلت كنيسة القديس بولس نفسها وريثة لهذا الاختيار الإلهي" فالكنيسة كانت بالنسبة لبولس تمثل البقية من المؤمنين الذين نجّاهم الرّب مع نوح في السفينة، تلك "البقية" الطاهرة التي خرجت من جذع يسى مع داود كما ذكر أشعيا: " يخرج فرع من جذع يسّى وينمو غصن من أصوله وروح الرّب ينزل عليه، روح الحكمة والفهم والمشورة، روح القوة والمعرفة والتقوى، ويبتهج بمخافة الرّب"[(5)]. إنّ هذه البقية ينجيها "يهوه"دائما في كل مرحلة من مراحل تاريخ الخلاص حتى تستفيد من "الاختيار الإلهي" ويوضح بولس ذلك في إحدى رسائله قائلاً " وفي الزمن الحاضر أيضاً بقية

---

(1) سفر اعمال الرّسل: إص13/فق17.

(2) سفر اعمال الرّسل:إص13/فق19

(3) سفر أعمال الرّسل: إص13 / ف 22

(4) روجيه غارودي: الإرهاب الغربي ج1، ص66.

(5) سفر أشعيا: إص 11 /فق 1–4.

من الناس اختارها الله بالنعمة"[1].(نعمة الفداء والخلاص) وستكون النعمة التي تتلقاها الكنيسة(الجماعة المسيحية)ثم المؤسسة الدينية في ما بعد، هي الانتصار على أعدائها ومناوئيها، وأنّ الكنيسة التي كانت تعاني من بداية تاريخ وجودها إبان الأمبراطورية الرومانية من الاضطهاد ثم من الانقسام والتفكّك، أصبحت بعد ذلك تشكل قوة لا يستهان بها، ولقد أدرك الإمبراطور قسطنطين ما يمكنه استغلاله من هالة القدسية التي تحيط" بالطاعة" للكنيسة فجعل من المسيحية الديانة الوحيدة المميزة للإمبراطورية وحرص على إنهاء جميع الانقسامات الأيديولوجية بين المسيحيين، ويرجع بعض الباحثين سبب نزوع الامبراطور قسطنطين إلى اختيار المسيحية إلى ماوجده فيها من روح التعصب والتسامي اللّذين ورثتهما عن اليهودية يقول الدكتور عبد الحليم محمود: " إنّ السبب الوحيد الذي جعل الإمبراطور قسطنطين يتخذ المسيحية ديناً رسمياً إنّما هو مارآه فيها من التعصب الذي لا يوجد في غيرها من الأديان التي كانت منتشرة إذ ذاك في روما، ورأى أنّ هذا التعصب نفسه هو الذي يربط الأمبراطورية برباط من حديد، فيكون بذلك مقاوماً لعوامل التفكك التي تسري في شرايين الأمبراطورية"[2]. لقد سرى اليأس إلى قلب الإمبراطور حينما رأى التفكك والانحلال يدب في إمبراطوريته المترامية الأطراف. وأخذ يفكر فيما يمكن أن يربط هذه الأشلاء التي توشك أن تتداعى، ونظر في الأديان الموجودة حين ذاك فوجدها ثلاثة أديان متعادية، كل منها يصارع الآخر، ولم يكن نظره في هذه الأديان للهداية والرشد، او النجاة في العالم الأخروي، وإنما كان ينظر في الأديان ليرى أيَّها أشدَّ تعصباً وأكثر تهيؤاً واستعداداً للتنكيل بالمخالف فرأى أنّ المسيحية يتوفر في رجالها ذلك، فاختارها ديناً رسمياً للدولة من أجل هذا السبب فحسب[3].

-طبيعة تكوين الكنيسة المسيحية:

---

(1) رسالة إلى أهل رومية إص11/ فق5.

(2) د/ عبد الحليم محمود: أوربا والاسلام دار المعارف ط4 القاهرة 1993 ص34.

(3) المرجع نفسه ص 36.

نشأت الكنيسة المسيحية، كما سبق في أحضان الإمبراطورية الرومانية، وكانت هذه الأخيرة تقوم على تعدّد الأديان والاعتراف بها جميعاً[1]. طالما كانت لاتهدد النظام العام، ولم ينقض هذا التسامح داخل الإمبراطورية إلاّ لسببين:

-1- عدم اعتناق أيّ دين "الإلحاد".

-2- الإخلال بالنظام العام.

أصدر الإمبراطور سبتيوس سويرس سنة202م قانوناً يحرّم اعتناق اليهودية والمسيحية على من ليسوا يهوداً في الأصل أو نصارى، ومن ثمَّ أخذ اضطهاد النصارى واليهود في داخل الأمبراطورية الرومانية يتزايد.

وقد جاءت معارضة الدين المسيحي من قبل الشعب أكثر ممّا جاءت من قبل الدولة، ذلك أنّ الحكام كانوا في كثير من الأحيان رجالاً متقفين متسامحين، ولكن جمهور النّاس الوثنيين ساءهم عزلة المسيحيين وتعاليهم وثقتهم بأنفسهم، فأهابوا بحكامهم أن يعاقبوا أولئك الذين يهينون الآلهة الرّومانية، ولهذا أصبح الجهر بالمسيحية جريمة يعاقب عليها بالإعدام[2]، وعلى الرغم من أنّ الإمبراطور جالينوس[في سنة260م] ردّ للمسيحين أماكن العبادة والدّفن، فإنّ الموقف من المسيحية بقي كما كان عند أسلافه من اضطهاد وعدم تسامح وربّما كان لاضطهاد المسيحيين وتتبعهم داخل الإمبراطورية الرّومانية، وما لحق بهم من أصناف العذاب، دور في لفت الأنظار إلى المسيحية وكسب أنصار جدّد للجماعة المسيحية المضطهدة. فكانت مناظر الاستبسال والإخلاص لدينهم، وأخبار ذلك الاستبسال من أقوى عوامل انتشار المسيحية[3].

ولم يعترف الأباطرة الرّومان بالمسيحية ديناً كسائر الأديان إلاّ في سنة311م، حين أصدر جيسريوس مرسوماً بالتسامح مع المسيحيين، وطلب من المسيحيين أن يدعوا له في صلواتهم، لأنّه كان يشكو وقتئذٍ من داء عضال ثمَّ صدر من قسطنطين وليكسوس

(1) ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء 3 من المجلد 3، ص 387و388.

(2) المرجع نفسه، ص391.

(3) المرجع نفسه: ص392.

مرسوم ميلانو سنة313م وقد ظل التعايش بين جميع الأديان في الإمبراطورية الرّومانية قائماً، وعندما اعتنق قسطنطين المسيحية حاول بعض رجال الكنيسة أن يقنعوه بأن يجعل الدين قاصراً على المسيحية، وأن يضطهد سائر الأديان، ولكنه صمد لهم واستمر على سياسة تعايش كل الأديان معاً ورغم ذلك فقد أظهر من مظاهر المحاباة الكثير منها:

- إعفاء أملاك الكنيسة العقارية من الضرائب.
- جعل الكنيسة الوارثة لأملاك الذين يتوفون ولم يعقبوا ذرية.
- أجاز للجماعات المسيحية امتلاك الأراضي وقبول الهبات.
- وهب المجامع الدينية أموالاً.
- شاد عدداً من الكنائس(1).

كما جعله رجال الدين المسيحي يشتد على من أطلقوا عليهم اسم الهراطقة(2)، ولكن خلفاءه، وبتحريض من رجال الكنيسة، أخذوا في اضطهاد الأديان الأخرى.ولما جاء تيودوسيوس الأول إلى الحكم(379-395م) أمر بجعل المسيحية الدين الرّسمي للدولة وعقَّب هذا الأمر بإصدار تحريم كلّ الدّيانات الأخرى. وكان أشدّ القرارات، قرار سنة393م، والذي جعل أمانة مجمع نيقية فيما يخص التثليث العقيدة الرّسمية للدولة، بل إنّ رجال الدّين المسيحي الذين عانوا من الاضطهاد والظلم طيلة أربعة قرون تقريباً، هم الذين صاروا يمارسون الاضطهاد والظلم، ودفعوا الأباطرة إلى ذلك.

- **موقف الكنيسة من مخالفيها:**

ما إن تحوّلت الإمبراطورية الرّومانيةالوثنية إلى الامبراطورية البيزنطية المسيحية حتى تمسَّك الأباطرة بادماج الدين في القانون العام للدولة، وكان لذلك نتائج بالغة الخطورة، فقد أصبح كلّ مَنْ لا ينضوي تحت لواء العقيدة يُعَدُّ خارج الإطار القانوني

(1) ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء 3 من المجلد 3ص396.

(2) الهرطقة هي كل مارآه رجال الكنيسة بدعة وخروجاً عن رأي وفهم الكنيسة.

العام ويقتضي ذلك عزله في خصوصية دينية مدنية مغلقة اجتماعياً وسياسياً، بحيث تطبق في حقّه أحكاماً خاصة، وبذلك جرى تسييس العلاقات الطائفية[1].

وقد تزايدت إجراءات وقوانين الاضطهاد بدخول العصور الوسطى فقد صار للحكام دور ديني إلى جانب دورهم السياسي، الأمر الذي أدّى إلى الصّراع بين البابوات والأباطرة، وهو الذي دفع بكل طرف فيه إلى المزايدة في الاضطهاد لينال مزيداً من التأييد الشعبي.

وكان ضحايا كل هذا كثيرين، حتى صار اعتناق المسيحية الكاثوليكية شرطاً جوهرياً لكي يكون الشخص مواطناً في الدولة الرّومانية[2].

وقد كان الأباطرة الرّومان حريصين على أن يكون الأساقفة من موظفي الدولة وفي خدمتها، وذلك بمنحهم حق التحكيم في القضايا المدنية والقضاء على المذاهب الوثنية التي كانوا يطبقون على أصحابها عقوبة الإعدام وبهذا الشكل امتلكت الكنيسة جميع مقاليد الأمبراطورية بين يديها، وتحكّمت في مصائرها، حتى أنّها أصبحت بعد ذلك، خليفة الإمبراطور في الحكم، عند ما سقطت روما عام 910م، واسقط آخر أمبراطور روماني[3]. لقد كانت أهم الانشقاقات اللآهوتية الأولى في تاريخ الكنيسة ماحصل بين آريوس وأتباعه من جهة، ومخالفيه من جهة أخرى، وقد كان النّجاح الذي لاقته أفكار أريوس قد وصل الجدل حوله إلى الحدّ الذي أدى إلى انقسام جميع كنائس الشرق.

إنّ قسطنطين الذي كان يريد توحيد أركان الإمبراطورية، رأى في هذا التمزّق عاملاً قد يؤدي إلى انتشار الفوضى وزعزعة النظام العام، لذا فقد سعى في البداية إلى محاولة التوفيق بين المذاهب والآراء، وعندما فشلت جميع مساعيه، قرّر اللّجوء إلى القوّة، وقد اتبع قسطنطين معياراً واضحاً يستطيع أن يميّز به بين المذهب الذي سيحقق

---

(1) د/ محمد يحي فرج: المركزية اللاهوتية في الخطاب الفلسفي المسيحي كلية الآداب جامعة عين شمس(دت) ص5.

(2) جون لوك: رسالة في التسامح، ترجمة وتقديم د/ عبد الرحمن بدوي: دار الغرب الإسلامي 1987 ص12.

(3) ول ديورانت: قصة الحضارة الجزء1 المجلد 4 ص92..

الوحدة الأديولوجية لإمبراطوريته وبين الهرطقة التي كرّس نفسه لقمعها. ولقد كان الشماس المدعو أثناسيوس مخلب الإمبراطور الوثني للتهجم على عقيدة التوحيد التي نادى بها آريوس، وتثبيت القول بتأليه المسيح حتى ينضم إلى المسيحية أكبر عدد ممكن من الوثنين في الإمبراطورية الرّومانية حيث يجدونها مقاربة ومشاكلة لما هم عليه من وثنية، فتتحقق الوحدة الدينية، وتصير دعامة أساسية للوحدة السياسية(1).

تمت الموافقة في مجمع نيقية على قانون الإيمان، وَوَقَّع عليه المجتمعون، ثم حكم بهرطقة تعاليم آريوس. وبما أن الإمبراطور كان يسعى من وراء هذا المجمع إلى وحدة الإمبراطورية، فقد أمر بحرق كتب آريوس ونفيه(2).

قرّر مجمع نيقية بأنّ قانون الإيمان الذي أصدره هو المعبر عن الإيمان المسيحي الحقيقي. وبناء على ذلك فمن يخالف تعاليم هذا القانون يخالف الإيمان المسيحي، ويجب حرمانه، ولذا فقد حرم المجمع آريوس وأتباعه، ونُفِيّ مع بعض مؤيديه.

وفي إفريقيا لم يتردد القديس أوغسطين أسقف قرطاج، في القرن الرابع الميلادي بمساندة من القديس أبرسيوس أسقف ميلانو، في اللّجوء للقوّات الرّومانية، من أجل بث الرّعب، وإبادة المسيحيين ولا سيما أنصار الحزب الدوناتي(3) والثوار من العمال والمزارعين في شمال إفريقيا. فهذا القديس بعد أن كان في بداية حياته شبه متسامح صار شديد التعصّب داعية إلى اضطهاد الأديان الأخرى غير المسيحية وإلى استعمال القوّة والقهر معها، وقد برّر ذلك بأنّ إرغام الآخرين على اعتناق المسيحية يؤدي على

---

(1) حسن يوسف الأطير: عقائد النصارى الموحدين بين الإسلامية والمسيحيةط 2مكتبة الزهراء القاهرة سنة 2002 ص 61.

(2) الدكتور القس حنا الخضري: تاريخ الفكر المسيحي دار الثقافة القاهرة 1981ج4، ص631.

(3) نسبة إلى دوناتس وهو زعيم طائفة مسيحية إفريقية ظهرت في القرنين الرابع والخامس للميلاد وكانت تعارض أي نقص في احترام الشهداء وتطالب بإعادة تعميد من ينظمون إليها من أتباع الكنيسة الكاثوليكية.

الأقل إلى تعليمهم، واستند في هذه الدعوى إلى نصوص من الإنجيل وخصوصاً إلى العبارة الواردة في إنجيل لوقا: " أرغموهم على الدخول"[1].

ذلك أنّ هذا القسيس كان يرى أنّ الخير والخلاص مرتبط دائماً بمدينة الله، وأنّ الشّر والهلاك مرتبط بمدينة الأرض. لقد ربط أوغسطين فكرة مدينة الله [الكنيسة] بمبدأ أخلاقي له صلة مباشرة بثنائية الخير والشر، وهو الخطيئة والخلاص ويذهب إلى أنّ آدم قبل السقوط، كانت له إرادة حرّة وكان في قدرته أن يمتنع عن اقتراف الخطيئة، لكنه لما أكل التفاحة هو وحواء دخلهما الفساد الذي انتقل منهما إلى خلفهما كلية، ولم يعد أحد من هذا الخلق يستطيع بقوّته الخاصة أن يمتنع عن الخطيئة، فلا سبيل أمام الناس إلى حياة الفضيلة إلاّ برحمة الله[2].

إنّ، الشر وجد بمعصية آدم، إذ تفرق الناس بعد ذلك إلى مجموعتين:

1- فئة تحب ذاتها إلى حدّ امتهان الله، أي أنّها طوّرت حبّاً نرجسياً مَرَضِياً مبالغاً، كان نتيجته أن أدّى إلى "احتقار الله ".

2- فئة انصرفت إلى حبّ الله إلى درجة بلغت فيها أنّها " احتقرت ذاتها ".

وقد أفلحت الأولى بأن تركّب فضاء يناسب رؤيتها ونوع حبّها، فكانت " المدينة الأرضية " مدينة الدنس والشر والخطايا، فيما نجحت الثانية في بناء"مدينة سماوية" مقدسة وطاهرة، هناك إذن مدينتان لا غير ترجع إليهما سائر البشرية[3]. وبين هاتين المدينتين حرب منذ البدء، إذ تجاهد مدينة الله[الكنيسة] في سبيل العدالة، فيما تعمل الأخرى على نصرة الظلم، وستظل الحرب مستمرة بينهما إلى نهاية العالم، حتى يفصل بينهما المسيح في آخر الزّمان، فتنعم مدينة الله[الكنيسة]بالسّعادة الأبدية، فيما تلقى الأخرى جزاءها في النّار التي لا تنطفئ، هذا فيما يخص قدر المدينتين، أمّا ما يخص المسار التاريخي لهما، فإنّ أوغسطين يقسّم تاريخهما إلى مرحلتين يفصل بينهما ظهور المسيح:

---

(1) إنجيل لوقا: إصحاح14/ فقرة23 .

(2) د/ محمد يحي فرج: المركزية اللاهوتية في الخطاب الفلسفي المسيحي، ص50.

(3) المرجع نفسه ص52.

1- فمن قابيل إلى إبراهيم كانتا مختلطتين.

2- لما جاء إبراهيم بدأتا تتمايزان سياسياً.

- المدينة السّماوية ويمثّلها بنو إسرائيل.
- المدينة الأرضية وتشمل باقي البشرية.

وبظهور المسيح ينتهي التمايز بين الاثنتين فتختلطان من جديد، وتعود كل منهما وحدة معنوية لها أعضاء الإنسانية جمعاء(1).

إنّ المدينة السماوية هي جماعة في الماضي والحاضر والمستقبل، وإنّ الكنيسة هي الجماعة البشرية التي تعمل على بناء المدينة السماوية التي أرادها الله وأسّسها لهذه الغاية ومايزال يؤيّدها في تحقيقها. وينبغي على المدينة الأرضية أن تكون خاضعة للكنيسة لأنّ الأولى أدنى من الثانية، وإنّ مدينة السّماء، مدينة الله، هي في هذا السياق الكنيسة الكاثوليكية(2). ولا بد لها من أجل سعادة البشرية وخلاصها وتحقيق غاياتها المقدرة والأبدية من أن تسيطر على مدينة الأرض (بما فيها العناصر المسيحية التي انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية).

إنّ ما تمخضت عنه الصّراعات اللآهوتية المبكرة في المجامع الدينية حول مكونات العقيدة المسيحية وحول سلطات الكنيسة، هو الاعتراف ببطريك روما بوصفه" البابا" الأمر الذي جعل من الكاثوليكية القوّة المركزية في المسيحية، وهو ما جعلها تستشعر قوّتها وتعمل على إقصاء المخالفين، بقول أحد الباحثين: "إنّ هناك وجوداً وحيداً للكنيسة الحقيقية بينما لا يوجد خارج مجموعاتها المرئية إلاّ عناصر كنسية، وبما أنّها عناصر من الكنيسة نفسها فهي تتوق إلى الكنيسة الكاثوليكية"(3). وحتى الكنائس التي أسعفها الحظ وبقيت قائمة، رغم محاولة الكاثوليك للقضاء عليها، فإنّها لا تعتبر كنائس قائمة بذاتها وإنما تستمد وجودها وقوّتها من الكنيسة الوحيدة، يقول الباحث نفسه:

---

(1) د/ زينب حمود الخضيري: لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين دار قباء القاهرة 1997ص85.

(2) د/ محمد يحي فرج : المركزية اللاهوتيةص53.

(3) هاني لبيب: الحوار المسيحي الإسلامي رؤية جديدة مكتبة الشروق الدولية ط1، 2002 ص22.

"على الرّغم من الانقسامات بين المسيحيين تتابع كنيسة المسيح وجودها بالملأ[كاملا] في الكنيسة الكاثوليكية الوحيدة، إنّه توجد عناصر متعددة من التقديس والحق لا زالت قائمة خارج بنيانها[أي الكنائس والجامعات الكنسية التي ليست بعد في شراكة مع الكنيسةالكاثوليكية]، وعلينا أن نؤكد في شأن هذه الأخيرة أنّ قوّتها مستمدة من ملىء النعمة والحقيقة التي استودعها الله الكنيسة الكاثوليكية(1).

لقد اعتبرت الكنيسة الكاثوليكية الرّومانية نفسها المهيمنة على العالم كله، والسّلطة الوحيدة المخوَّلة بتقديم مفهومها الوحيد عن الإيمان لجميع البشر، وممّا يدل على ذلك أنّ أحد فصول كتاب التعاليم المسيحية لعام1992م يحمل عنوان"لا خلاص بعيداً عن الكنيسة"(2).

ولقد دفع استشعار القوّة الكنسية إلى تطبيق سياسة شمولية وقمعية تهدف إلى إقرار سلطتها المطلقة، ليس على صعيد العقيدة لفرض مذهب ديني مطلق فحسب، بل أيضاً على الصعيد السياسي حيث أصبحت الكنيسة هي المتحدثة باسم الأمبراطورية الرّومانية، ليس باعتبارها ممثلة لأورشليم، ولكن باعتبارها ممثلة لروما عاصمة الأمبراطورية الرّومانية، لقد كتب القديس توما الإكويني(3). في القرن الثالث عشر: "إنّ الحكومات العلمانية يجب أن تكون تابعة لحكومة الكنيسة، وهذا بناء على التقسيم الذي أقامه القديس أوغسطين من قبل في القرن الرابع الميلادي، بين الحكومة المدنية(مدينة الأرض) وحكومة الكنيسة مدينة الله أو مدينة السماء.

وقد نشر البابا منشوراً في سنة1864م جاء فيه لعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة للسلطة المدنية، أو جواز أن يفسّر أحدٌ شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ماترى الكنيسة أو يعتقد بأنّ الشّخص حرّ فيما يعتقد ويدين به.

(1) المرجع نفسه ص23.

(2) البابا يوحنا بولس الثاني: كتاب التعاليم المسيحية، الفاتيكان 1992ص186.

(3) توما الإكويني: فيلسوف ولاهوتي إيطالي عاش بين 1225-1274 له قائمة من المؤلفات تبلغ 98 كتاباً أشهرها الرّد على الخوارج والخلاصة اللآهوتية وله شروحات كثيرة على مؤلفات أرسطو.

وفي منشور آخر سنة1868م، طلب البابا من المؤمنين أن يَفْدُوا الكنيسة بأرواحهم وأموالهم، وعليهم أن ينزلوا عن آرائهم وأفكارهم[1]. وقصد السيطرة على الأفكار ومراقبة حرية الفكر، أنشأت الكنيسة المراقبة على المطبوعات وفرضت على كلّ مؤلِّف وكل طابع أن يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيسين أو المجلس الذي عيّنَ للمراقبة وصدرت أحكام المجمع المقدّس، بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب او ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره، وأوعز إلى هذا المراقب أن يدقّق النظر حتى لا ينشر ما فيه شيء يومئ إلى مخالفة العقيدة الكاثوليكية، ثم أنشأت الكنيسة محاكم التفتيش، فاشتدت الأخيرة في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة إلى كسبه، وآلت على نفسها كشف البدع، والحكم فيها مهما اشتد خفاؤها[2].

ولم تكن روح السيطرة ملازمة للكنيسة الكاثوليكية فقط، بل إنّ البروتستانت الذين تأسست حركتهم ضد الكنيسة الكاثوليكية استمروا في تنفيذ عقوبة الموت كقانون يحكم به على كل مخالف لمعتقد الطائفة، فلقد اتهم (**CALVIN** كالفن (**SERVET**) سيرفت بأنّه ينكر التثليث فقرّر مجلس مدينة جنيف إعدام سرفت بالإحراق وتم إحراقه علناً في 1553/10/27[3]. كما كان لوثر أشدّ الناس إنكاراً على من ينظر في فلسفة أرسطو ورأى جمهور البروتستانت أنّه لايباح للعقل أن ينساق في نظره إلى ما يخالف شيئاً ممّا حوته الكتب المقدّسة، وأنّه لا حاجة إلى شيء من العلم وراء ما ورد فيها[4]. وهكذا فالتاريخ المسيحي الذي أدى إلى نشأة أوربا، تاريخ حافل باضطهادات الهرطقة التي لم يلق أصحابها غير التعذيب الجسدي وإراقة دمائهم.

وإذا كان موقف الكنيسة الكاثوليكية من أصحاب المذاهب المسيحية المخالفة والأراء الداعية إلى التجديد، كما سبق معرفته، فإنّ موقفها من أصحاب الأديان الأخرى كان أشّد وأفتك. فقد نظرت الكنيسة إلى هذه الأديان على أنّها بقايا الوثنية، وإلى

(1) محمد عبده: الإسلام والنصرانية بين العلم والمدينة، دار الحداثة لبنان ط2، 1983 ص54.

(2) المرجع نفسه، ص 46.

(3) جون لوك: مرجع سابق ص15.

(4) محمد عبده: مرجع سابق ص 56.

أصحابها على أنّهم وثنيون، ومن ثمّ فإنّ الموقف التقليدي للكنيسة في العصور الوسطى كان لايرى أيّ سبيل للخلاص في غير المسيحية، فبالنسبة للكنيسة فإنّ حلقة الخلاص قد تمّت بمجيئ المسيح، والتاريخ البشري بماضيه ومستقبله، إنّما يكتسب معناه من مجيئ المسيح عليه السلام.

لقد اعتبر الفيلسوف هيجل المسيحية الدّيانة المطلقة بامتياز، ذلك أنّه تركزت فيها كل الدّيانات السابقة، وانصهرت فيها كل أشكال التعبير الديني فأصبح مضمونها هو الحقّ المطلق، إنّ الدّين المطلق هو نهاية تطوّر الأديان كلها، وقد جسدته الدّيانة المسيحية، فاستطاعت بذلك تجاوز حسّية الدّين الطبيعي وماديته وتعدي صورية دين الفردية المطلقة، فالدّين المسيحي ممارسة متسامية تترفع عن كلّ أشكال الحسّ والصّورة لأنّه دين الوحي، الدّين الوحيد الذي تلقى رسالة من السماء، إنّه دين الكلمة إذ تتجلى فيه باعتبارها لفظاً كونياً يظهر في التاريخ متجسداً في شخص يسوع المسيح، وعليه فإنّ الكون كلّه مظهر للكلمة، ففي الديانة المطلقة يظهر الدّين كموضوع لذاته وبذاته، وهو دين الرّوح لذاتها وبذاتها، لأنّ الدّين الحقّ هو وعي الرّوح ذاتها أيّ أنّه الفكرة المطلقة، وهذا لا يحضر إلاّ في المسيحية، فهي بهذا الديانة الرّوحية اللانهائية(1).

إنّ وضع هيجل الديانة المسيحية على رأس سلم ترتيب الأديان باعتبارها الديانة المطلقة التي هي خلاصة الأديان السابقة، هو نوع من الحكم على أنّها الدّيانة الأفضل، وغاية ذلك الدفاع عن المسيحية مقابل الأديان الأخرى، وإذا عرفنا أنّ الدّين المطلق عند هيجل هو دين الوحي يتضح أنّه جرّد الأديان الأخرى من أصولها السّماوية ويعدّها أدياناً تاريخية، وإذا كان هيجل يتحدث عن الديانة الطبيعية على أنّها خاصة بالشعوب الشرقية، والدّيانة الفردية الرّوحية على أنّها خاصة باليونان والرّومان، فإنّ حديثه عن الديانة المطلقة إنّما المقصد منه الديانة المسيحية كما تجلّت في الغرب(2).

---

(1) محمد يحي فرج: مرجع سابق: ص81-82.

(2) د/ محمد يحي فرج مرجع سابق ص 91.

وإنّ هذا التفاوت القائم على التفاضل سيضع مسألة الأديان في سلّم متدرج تشكّل الديانات الإفريقية والآسيوية النقطة الباهتة والمنحطة الواقعة في أسفله، في حين تتبوأ المسيحية المكانة العليا فيه، هذا التفاضل سيمنح شرعية منطقية وأخلاقية للقائلين بضرورة استبعاد الأديان الأخرى، لأن المسيحية هي دين الوحي الحقيقي الذي تجلّت فيه الحقيقة الإلهية، ونموذجها المعبِّر عنها هو الكنيسة الكاثوليكية.

والملاحظ هنا أنّ هيجل يخلط بين الحضارة الغربية الحديثة والدّيانة المسيحية ويعتبرهما كلاًّ موحداً، كما أنّ الترتيب المتدرج للأديان والفلسفات من الشرق مروراً باليونان والرّومان، وصولاً إلى الأمبراطورية الجرمانية، يراد منه القول إنّ المسيحية والأمّة الجرمانية هما الوريثتان لكل الديانات والحضارات السابقة، إذ يتمركز فيهما خلاصة الفكر البشري، وبهذا قاد النّسق المنطقي في فلسفة هيجل إلى نهاية محدّدة فيما يخص فلسفة الرّوح، وهو إقصاء أهمية الأديان الأخرى، جاعلاً المسيحية كما أنتجها اللاّهوت في العصور الوسطى، المركز الذي يشع منه الفكر الديني باعتبارها الديانة المطلقة الخالدة والأبدية في مسار التاريخ البشري، لأنّ المسيحية كما قال هي: "الحقيقة المطلقة"(1).

وإذا كانت مدينة الله الأوغسطينية مشتبكة في صراع تاريخي يتصل بواقع النزاع بين الدولة والكنيسة في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلاديين، فإنّ مملكة الرّوح الهيجلية كانت لها طموحات أكبر، فقد أصبحت لها طموحات كونية، فهي غربية، والعالم خارج أوربا بالنسبة لها"مدينة أرضية"، ومع بداية العصر الحديث وتفاعل الأسباب الداخلية في أوربا[مدينة الله=مدينة الرّوح=الكنيسة] توسّع امتدادها كما هو الحال بالنسبة للتوسّعات الاقتصادية والعسكرية، وحينما لا يتمثل أحد في ولائه للكنيسة فمحكوم عليه أن يعيش عذاب مدينة الأرض وقهرها(2). وفي هذا الإطار قامت حملات التنصير بوظيفة تهديم الأنساق الدينية والثقافية في مناطق واسعة من

(1) المرجع نفسه، ص94.

(2) المرجع نفسه، ص93.

الأمريكيتين وإفريقيا وآسيا باعتبارها أنساقاً محمّلة بمضامين وثنية أو أسطورية، وتعويضها بنسق مأخوذ عن"مدينة الله" النسق المحمّل بلاهوت الكنيسة(الكاثوليكية).

موقف الكنيسة من الإسلام:

- **التصوّرات المسيحية الأولى عن الإسلام ومصادرها:**

إنّ موقف الكنيسة من الإسلام متميّز ومختلف عن مواقفها من الأديان الأخرى، وذلك أنّ الإسلام هو الدّين الوحيد الذي أتى بحديث عن الشخصية المحورية في الدّيانة المسيحية–وهي المسيح عيسى–عليه السلام–وهو حديث متميّز ومختلف تماماً عمّا سبقه، فهو يشمل تصويبات تاريخية وعقدية تمسّ جوهر الديانة المسيحية:

– ومن ذلك أنّ ما استقر بعد المجمع النيقاوي هو الاعتراف الرسمي بالمذهب القائل بألوهية المسيح وبالتثليث.

– وما اعتقدت الكنيسة في صحته من صلب المسيح وفدائه للبشرية.

– وما تعتقده أيضاً في اكتمال تاريخ الخلاص بمجيئ عيسى–عليه السلام– والتجسد الإلهي فيه.

أتى الإسلام بطروحات جديدة فيما يخص فتح مجال النّبوة من جديد، ووضع المسيح في موضعه التاريخي باعتباره واحداً من أنبياء بني إسرائيل، ثم التأكيد على أنّ سبيل الخلاص هو الإسلام، أي الخضوع التام والكامل لمنهج الله سبحانه وتعالى والذي بيّنه الأنبياء من نوح إلى – محمد صلى الله عليه وسلم–.

كانت مشكلة الإسلام، بالنسبة للمسيحية، في إيجاد سند لاهوتي مسيحي للإسلام ونبيّه، إذ أنّ المسيحية تصوّر أنّ الهدف من إرسال الأنبياء منذ بدء الخليقة، ليس سوى تمهيد تدريجي لأجل بلوغ ذروة التاريخ الكوني المتمثل بـ"التجسّد الإلهي" (في شخص المسيح) في حين أنّ محمداً –صلى الله عليه وسلم– ظهر بعد أكثر من خمسة قرون ونصف، من ذلك الحدث الكوني[عند المسيحيين]، وأعلن أنّه خاتم الانبياء والمرسلين، وأن الله أنعم عليه بالوحي المؤيد لرسالته، ومن وجهة نظر المسيحية، فإنّه لم يكن بإمكان محمد صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيّاً حقيقياً، أما عقيدته هي الأخرى فلا يمكن أن تكون صحيحة، ولهذا رأت الكنيسة وبعدها

المسيحيون، في شخص محمد رجلاً مرتدّاً أو نبيّاً مزيّفاً لا يملك سوى الادعاءات والأضاليل، وفي تصوراتهم الأقل تحفظاً وأدبا صوّر محمد كساحر معادٍ للمسيح، أو حتى أنّه الشيطان ذاته، وصوّر الإسلام على أنّه لون جديد من الهرطقة، أو على أنّه حزب جديد من الوثنية.

ولقد ضمّت تصوّرات المسحيين الأوائل عن الإسلام مزيجاً متناقضاً من المعارف والأفكار وتشويهات خطيرة، وهي التي نشأ عنها الموقف التقليدي للكنيسة من الإسلام، كما هيمنت بشكل راسخ ولمدة تاريخية طويلة على التصورات الغربية حول دين الإسلام، والأمر الجدير بالإهتمام هنا هو أن تلك الصورات حول الإسلام، قد وضعت في غالبيتها العظمى من رجال الدين المسيحي، والذين استمدّوا معارفهم عن الإسلام من مصادر شتّى بعيدة كل البعد عن المصادر الأصلية للإسلام نفسه. فكانت مصادرهم في هذا، الحكايات الشعبية، وقصص الأبطال، والحجاج و القدّيسين والمؤلفات اللاهوتية الجدلية التى وضعت أساسا كدفاع عن المسيحية، كما كانت بعض كتابات المسلمين مصدرا لذلك التصوّر، ولكن كانت المعلومة المقتبسة تنتزع في معظم الأحيان من سياقها الأصلي، ثم تقدم إلى القارئ المسيحي. وعموماً فقد كانت التصوّرات عن الإسلام في خطوطها الكبرى قد وضعت علىخلفية التفسير المسيحي للدّين الإسلامي(1).

وفي سياق البحث عن المصادر الأولى التي جاءت منها تلك التصوّرات عن الإسلام يمكن الوقوف عند المؤلفات التي وضعها يوحنا الدمشقي(2)، والتي تعدّ باكورة الدراسات المسيحية عن الإسلام، لقد كان هذا القديس النصراني من أسرة اشتغلت

---

(1) أليكسي جور افيسكي: الإسلام والمسيحية ترجمة خلف محمد الجراد عالم المعرفة رقم 215 الكويت1996 ص70.

(2) يوحنا الدمشقي(675-760م) ولد في دمشق وهو أحد آباء ومعلمي الكنيسة المسيحية حفيد منصور بن سرجون.

رئيس ديوان المالية في عهد معاوية، ألّف في اللآهوت والفلسفة والخطابة مهّد بمؤلّفاته إلى نشأة تعليم الفلسفة واللآهوت، من أشهر كتبه " منهل المعرفة".

بخدمة الخلفاء الأمويين فكان هو خلفاً لجده وأبيه في هذه الخدمة، ولقد تميز يوحنا الدمشقي بمعرفته الجيّدة باللّغة العربية، كما كان مطّلعاً على مصادر الإسلام الأصلية أي القرآن والسنّة. ونظراً لأنّه كان ذا مكانة فقد اكتسبت مجادلاته مع علماء الإسلام طابعاً لاهوتياً محضاً، وابتعدت عن الطابع السياسي والإيديولوجي.

انطلق يوحنا في مناقشته للإسلام من كونه بدعة أي هرقطة بالمفهوم المسيحي. وإذا كان يؤكّد على أنّ المسلمين يتفقون مع المسيحيين في الإيمان بالله الواحد، فإنّه يرى في عدم اعتراف المسلمين بالعقائد الأساسية للمسيحية، وعلى رأسها الطبيعة الإلهية للمسيح، وكذا الصّلب، أمراً يقلّل من شأن الأطروحات التي تضمّنتها تعاليم الإسلام.كما ينبني على رفضه لمجموعة كبرى من اليقينيات الإسلامية، استحالة قبول المسيحيين التعايش معها مطلقاً، ومن تلك اليقينيات المرفوضة بالنسبة له:

– القول بأنّ محمداً نبيّ من الله وهو خاتم الأنبياء و المرسلين.

القول بأنّ القرآن–كلمة الله– المنزّلة إلى محمد– صلى الله عليه وسلم– من السّماء ويورد في كتابه: "مناظرة بين ساراتي ومسيحي" حججاً ضد الطبيعة الإلهية للرّسالة الإسلامية، ومنها أنّ الأنبياء السابقين لم يبشّروا بها، وأنه لم تقم معجزة شهيرة أو أعجوبة في حياة محمد ، تدل على صحة حقيقة النبوة كما أنّه لايمكن أن يكون نبياً لأنّ سلسلة الأنبياء ختمت بيوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام). كما اشتهرت على لسان يوحنا الدمشقي ومعاصريه من أهل ملته قصة خرافية، خلاصتها أنّ محمداً لم يكن سوى تلميذ للراهب النسطوري سرجيوس بحيرا[1]. وأنّه تلقى منه المعلومات الأساسية عن التوراة والإنجيل، ثم مالبث أن أعلن نفسه نبياّ وأنشأ عقيدة خاصة به

(1) هو سرجيوس بحيرا: وهو رابح مسيحي يروى أانّه تنبأ برسالة محمد صلى الله عليه وسلم عندما كان عمره إثنتا .

عشر سنةً وهو في طريقه إلى الشام ضمن قافلة لعمّه أبي طالب وكان ذلك في بُصْرَى بالشام، وقد أورد القصّة كاملة ابن هشام في السيرة النّبوية،تحقيق محمد الدين عبد الحميد، دار الفكر بيروت 1981 ص 115 وما بعدها.

[1] [2]. قد أطلق بعض المسحيين على المسلمين"طائفة أبناء الجارية"مستندين في ذلك إلى مقتطف من الإنجيل استل من رسالة بولس إلى أهل غلاطية[3].ويستنتجون من ذلك أن المسلمين مبعدون من وعد الخلاص الإلهي. ويؤكد بعض الباحثين أن بعض التصوّرات المسيحية عن الإسلام كبدعة مسيحية، وعن نبيّ الإسلام بأنّه نبيٌّ مزيف انتقلت من مسيحي سوريا ومن مؤلفات يوحنا الدمشقي أساسا إلى البزنطيين، ومنهم بعد ذلك إلى الأوربيين[4].

وماتجدر الإشارة إليه في هذا المجال أنّ أوربا (الغرب) تعرفت على الإسلام من خلال المؤلفات الدينية والكلامية المعادية للإسلام مجسّدة في نموذجها البيزنطي بالدرجة الأولى.

وبشكل عام، فقد تكوّنت في وعي الأروبيين ملامح الصّورة التالية عن الإسلام، إنّه عقيدة ابتدعها محمد، وتقوم على أساس تكذيب وتشويش متعمّد للحقائق المسيحية، وأنّه دين الجبر وتقييد حرية البشر، كما يقوم على الانحلال الأخلاقي، والتساهل مع الملذات والشّهوات الحسّية، كما تقوم دعوته في جانبها العملي على العنف والقسوة.

ومن التصّورات التي شاعت عن النّبي محمد- صلى الله عليه وسلم- أنّه صاحب بدعة مسيحية، تلك التي تصفه بأنّه كان كاردينالاً للكنيسة الرّومانية الكاثوليكية، ثم أبعد بعد أن قام بمحاولة فاشلة للجلوس على كرسي البابوية، وهرب إلى شبه الجزيرة العربية، ومن أجل الثأر والانتقام أسّس ديانة جديدة، ومنها تلك التي تقول: إنّ الشيطان لم تكن له قدرات ذاتية تكفي لوقف انتشار المسيحية في الشّرق، ولذلك اخترع" كتابا" يمثل حلقة وسطى بين العهدين القديم والجديد، واستخدم لأجل هذه الغاية الشّريرة"وسيطاً " من طبيعة الشيطان ذاته أما الكتاب فهو" القرآن"بينما " الوسيط" هو محمد، والذي يجسّد دور المسيح الدّجال.

(1)le serge Jargy : Islam et chretienite :les fils d abraham entre la confrontation et dialogue Geneve 1981 page 106

(3) رسالة بولس إلى أهل غلاطية الإصحاح4 . فقرة: 21-31.

(4) أليكسي جور افيسكي: الإسلام والمسيحيةص73.

كما انتشرت حكاية أسطورية، مفادها أنّ محمداً درّب حمامة لتنقر حبوب القمح من أذنه وبذلك أقنع العرب، أنّ تلك الحمامة هي رسول الرّوح القدس الذي كان يبلّغه الوحي الإلهي.

وهكذا كان التأكيد، بالنسبة للذين نظَّروا للموقف المسيحي من الإسلام، على رسم الإسلام في صورة نموذج قبيح سيئ، مزيّف غير حقيقي، يتناقض ويعادي كلية النموذج المثالي للمسيحية لكونها ديانة الحقيقة والتي تتميّز بالأخلاق الصّارمة، وروح السلام، وبأنّها عقيدة تنتشر بالإقناع وليس بقوّة السّلاح، وأنّ نبيّه لايعدو أن يكون نبيّاً مزيّفاً جاء بعقيدة ودعا إليها من أجل تقويض أركان كنيسة الرّب في الشّرق، وأنّ محمداً نفسه نصّبه قومه إلهاً وصنماً يقدسونه(1).

يقول جورافسكي معلّقاً على هذه التصوّرات التي شاعت حول الإسلام ونبيّه محمد صلى الله عليه وسلم " وللحقيقة يجب القول إنّ تلك الأساطير المختلفة تمثّل سخرية مأسوية لأنّ النبي محمد– صلى الله عليه وسلم– الذي حارب أكثر من أي مخلوق آخر، عبادة الأوثان، والذي حطّم جميع أصنام الكعبة يتحوّل في تصوّر المسيحيين "إلى صنم يؤلّهه أتباعه" الذين يطلقون عليهم ازدراء واحتقاراً لقب"عبيد سارة" أو أبناء الجارية"(2).

– الموقف المسيحي من الإسلام أثناء الحروب الصّليبية وبعدها:

في أزمنة متأخرة عن تلك البدايات التي سقناها سالفاً اتّجه المسيحيون إلى مجال آخر، وهو أخطر من حيث النتائج التي أعقبته، ففي الحروب الصّليبية ظهر الإسلام قوّة لا يمكن قهرها وظهر للمسيحيين ولرجال الدّين منهم خاصة أنّه دين متغلغل في نفوس معتنقيه، وأنّ إيمانهم به مؤسّس لا يهتز، ولهذا ظهر اتجاه يدعو إلى ضرورة الإفادة من أصول الإسلام وتحريفها، لأنّها مصدر كل عقيدة يؤسسها، وقد تزعم هذا الإتّجاه رجل يدعى المبجّل أو المكرّم (نحو1059–1156)، والذي يعتبره كثير من الباحثين مؤسّس (الاستشراق)الدراسات الإسلاماتية في القرون الوسطى، وهو أول من

---

(1) د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام في تصوّرات الغرب ن مكتبة وهبة القاهرة 1987 ص92.

(2) ألكسي جور افيسكي: الإسلام والمسيحية ص77.

ترجم القرآن إلى اللّغة اللاتينية. وقد أسّس بطرس المبجّل خطته في مواجهة الإسلام بناء على تصوّره أنّ المسلمين هراقطة، وأنّ صراعهم حتمي، ولكن ليس بالسّيف، وإنّما بالكلمة وقوّة الحجة والاقناع، لقد اعتقد أنّه بالإمكان إرجاع المسلمين إلى الكنيسة، وذلك مشروط حسب رأيه بتمكّن اللاهوتيين والمبشرين المسيحيين من إظهار مواطن الانحراف والضلال في الإسلام وبشكل مقنع وتشهد رسالته التي وجّهها إلى العرب على نواياه تلك حيث جاء في الرسالة: "من بطرس الفرنسي الجنسية المسيحي العقيدة من أولئك النّاس الذين يطلق عليهم اسم الرهبان إلى العرب أبناء اسماعيل، الذين يتبعون قانون الرجل الذي يدعى محمداً، قد يبدو غريباً، ومن الممكن أنّه كذلك، إنّني إنسان بعيد عنكم موطناً، وأتكلّم لغة أخرى، وأفكّر بصورة مختلفة، وأعرف أنّ عاداتكم ونمط حياتكم مغايرة لحياتنا ونمط معيشتنا، ومع ذلك أكتب إليكم من عمق الغرب، إلى شعوب الشّرق والجنوب الذين أرجّح أنّني لن أتمكّن من رؤيتهم أبداً لكّنني أردت أن أجيئ إليكم ليس بالسلاح، كما يفعل المسيحيون في أغلب الأحيان، وإنّما بالكلمة ليس بالبغض والكراهية، وإنّما بالمحبّة، بتلك المحبّة التي يجب أن تكون بين أولئك الذين يجلّون المسيح وأولئك الذين استداروا عنه، بتلك المحبّة التي وجدت بين رسل المسيح (حواريوه وتلاميذه) والوثنيين وهكذا، فأنا أيضاً، واحد من عدد لا يحصى من خَدمِ المسيح بل الأصغر من بينهم... إنّني أحبكم، وبمحبّة أكتب إليكم د عياً إيّاكم للخلاص، ليس الخلاص الذي يزول ويتبدّل، وإنّما إلى الخلاص الذي يبقى ويدوم...ليس الخلاص الذي ينتهي مع انتهاء الحياة القصيرة، وإنّما إلى ذلك الخلاص الذي يستمر في الحياة الأبدية[1].

وقد انطلق بطرس المبجّل من فكرته التبشيرية هذه، (والقائمة أساساً على اعتماد الكلمة والإقناع لوقف المدّ الإسلامي القادم من الشّرق والجنوب، وعلى أنّ الكنيسة في صراعها مع الإسلام، يجب أن تقتحم كل المجالات) ليضع خطّته لترجمة القرآن إلى اللّغة اللاتينية، وقد استعان بعدد من المستعربين والمختصين في فروع علمية مختلفة ،

---

(1) ألكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ، ص82.

وكان في مقدمتهم: روبرت كتنتز، وتعدّ ترجمة هذا الأخير للقرآن، والتي تمت تحت إشراف بطرس المبجّل، أوّل ترجمة كاملة للقرآن الكريم من العربية إلى اللاتينية[1].

كما كلّف بطرس المبجّل أحد أساتذته من المستعربين ويدعى بطرس الطليطلي بترجمة مقالات مناهضة للإسلام، كما قامت مجموعة أخرى من المترجمين كان يشرف عليها بنفسه، بترجمة بعض الأحاديث المنسوبة إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–.

وقد صنّف بطرس المبجّل ما أسماه (دحض العقيدة الإسلامية) على أساس كل الترجمات المتقدّم ذكرها، التي أصبح يطلق عليها اسم (المجموعة الطليطلية) والتي أصبحت المصدر الرئيسي للمعلومات عن الدين الإسلامي بالنسبة للأوربيين على مدى قرون عديدة.

ورغم الأخطاء الواضحة، التي ارتكبت في ترجمة روبرت كتنتز (الكيتوني) للقرآن، فقد ظلت هذه النسخة اللاّتينية حتى القرن السابع عشر للميلاد أكثر الترجمات الغربية انتشاراً؛ كما كانت الأصل الذي بنيت عليه الترجمات إلى اللّغات الأوربية بعد ذلك، فكان النّص اللاّتيني مستنداً في الترجمة الهولندية والألمانية ثم الايطالية في القرن السادس عشر، وفي القرن السابع عشر قام قنصل فرنسا ديوري بأوّل ترجمة فرنسية للقرآن اعتماداً على النّص اللاّتيني، كما كانت الأساس الذي اعتمدت عليه الترجمة الانجليزية التي وضعها جورج سيل في النصف الأول من القرن الثامن عشر للميلاد[2].

وإذا كانت الصّورة التي رسمها بطرس المبجّل عن المسلمين تتمثّل في كونهم هراقطة مبتدعين فإنّ قديساً آخر له شأنه ومكانته في تاريخ المسيحية وهو توما الأكويني، قد عدّ المسلمين وثنيين[3]. ومن هذا المنطلق يرى الأكويني أن المسلمين في بعض الحالات هم أقل ارتكاباً للأثام والخطايا، قياساً مع الهراقطة المبتدعين من

(1) ألكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ، ص83.

(2) المرجع نفسه، ص84.

(3) يحي محمد فرج: المركزية اللاهوتية، ص 69.

المسيحيين، وفي مواقف أخرى يعتقد الإكويني أنّ المسلمين أكثر خطايا وآثاماً، من حيث الأخطاء الواقعة في قضاياهم العقدية. ولهذا رأى الإكويني ضرورة عقد المناظرات والمحاورات الجدلية مع الوثنيين (بمن فيهم المسلمين)، وذلك اعتماداً على البراهين العقلية، وليس وفق مفاهيم الكتاب المقدّس وبالإضافة إلى المحاورات والمناظرات، رأى الإكويني أنّه لا يجوز تحويل الوثنيين إلى المسيحية بالقوّة، ولهذا فإنّه يتوجب على الحكام المسيحيين الذين يقع المسلمون تحت سلطانهم، أن يتصرفوا بصبر تجاه مفاهيمهم في العقيدة والعبادة(1).

وفي أحد فصول كتابه"الرّد على الخوارج" (الأمم الخارجة عن المسيحية) تحدّث توما الإكويني عن محمد ورسالته، وفي حديثه هذا لم يخرج عن إطار القوالب الذهنية التي سادت في الفكر الأوربي في عصره، إذ وضع الانتشار السّلمي للمسيحية في مقابل"ما أسماه بالإنتشار الإكراهي" للإسلام ويقيم تفسيره لظاهرة انتشار الإسلام على مقولة مفادها أنّ محمداً اتّبع دعوته في بادئ الأمر الجهلة البدائيون فقط، أولئك الذين عاشوا في الصّحراء، ولم يسبق لهم أن عرفوا أيّ تعليم أو عقيدة، وعن طريق هؤلاء البدو الصّعاليك أجبر محمد بقوّة السّيف بقية النّاس في المنطقة على الإمتثال إلى شريعته(2). كما يؤكد توما الإكويني المزاعم القائلة أنّ محمداً أغوى كثيراً من الشعوب للدخول في عقيدته من خلال تشجيعه إيّاه على الحصول على الملذات والشهوات الحسّية، وعن طريق الوعود التي قطعها لها ضمن هذا التوجّه الغريزي(3).

ويذهب توما الإكويني إلى أنّ محمداً أسّس شريعة وأحكاماً، تتناسب مع قدرات وإمكانات العقل المتوسط وحسب، ثمّ يذهب إلى القول إنّه لكي لايكتشف أتباعه زيف شريعته، فإنّ محمداً حرّم عليهم قراءة العهدين القديم والجديد، وتوما الإكويني لا يستخدم كلمة"القرآن" مطلقاً وإنّما يستعمل محلها عبارة"قوانين محمد"(4).وهكذا فإنّ

---

(1) ألكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ، ص85.

(2) المرجع نفسه ، ص 86.

(3) مجلة دراسات إسلامية مسيحية العدد 6 ، ص 265.

(4) المرجع نفسه، ص266.

التصّورات[المشوّهة والمغلوطة] المتكوّنة في أذهان الأوربيين عن الإسلام وفق الأطر والقوالب الفكرية النّمطية التي سادت في القرون الوسطى، كانت راسخة بصورة عجيبة، حيث بقي تأثيرها واضحاً في القرون اللّاحقة.

وفي القرن السادس عشر الميلادي حصلت تغيرات كبرى في موقف المسيحيين تجاه الإسلام أهمّها:

أنّ الإسلام في نظرهم لم يعد المنافس الجدّي في مجال العقل والعلم، وذلك أنّهم بدأوا يقفون على التحوّل الواضح في السبق العلمي الذي أصبح إلى صفّهم وكان الراهب واللّاهوتي الألماني زعيم حركة الإصلاح الديني مارتن لوثر[1]. أوّل من تهكّم على تصوّرات مسيحيي القرون الوسطى حول الإسلام وأسماها"خرافات الأوربيين وجهالاتهم" حيال الإسلام. وكانت آراؤه عدائية تجاه الإسلام، فقد كان اقتراب الجيوش التركية العثمانية من فيينا (عاصمة النمسا) سنة1524م، باعثاً لوصف الإسلام بأنّه دين العنف الذي يخدم المسيح الدجّال، وأنّ المسلمين معادون للعقل والعلم، ولا فائدة ترجى من محاولة تنويرهم وتحويلهم نحو الإيمان الصّحيح (الإيمان المسيحي)، والحلّ الأجدى هو محاربتهم بقوّة السّيف وحده[2].

والحقيقة أنّ مارتن لوثر كان واحداً من أولئك الذين صاغوا في القرن السادس عشر، نموذجاً جدلياً كلّياً للموقف من الإسلام وذلك هو"النموذج السّلبي" الذي استخدم في الجدال العنيف مع الكنيسة الكاثوليكية، حيث يقول لوثر في هذا الصّدد: " البابا والإسلام يشكلان– من حيث الجوهر– العدوين اللّدودين للمسيح وللكنيسة المقدسة، ولكن إذا كان الإسلام يمثل جسد المسيح الدّجّال، فإنّ البابا هو رأسه[3].

---

(1) مارن لوثر (1483–1546م) لا هوتي ومفكر وكاتب ألماني إنفصل على الكنيسة الكاثوليكية بسبب اعتراضه على تصرفاتها وقاد حركة احتجاج كانت نتيجتها ظهور حركة الإصلاح الديني البروتيستانتي .

(2) ألكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية ص 97.

(3) المرجع نفسه ، ص 98.

وبهذا الشّكل، أصبح الإسلام مرادفاً للخطيئة داخل الكنيسة المسيحية، كما أصبحت الكنيسة الكاثوليكية ذاتها، هي الإسلام.

وانطلاقاً من هذا التاريخ أصبح المفكرون المسيحيون(في أوربا) كثيراً ما يعودون إلى الحديث عن الإسلام، ليس بهدف محاورته أو مناظرته مباشرة، بل من أجل استخدامه كنموذج ووسيلة في المجادلات اللاّهوتية والفلسفية المشتدّة، وهكذا فإنّ اتّهام المفكرين لبعضهم البعض بصفة "الإسلامية" أصبح هو"الموضة"الراجحة بين اللاّهوتيين البروتستانت والكاثوليك في القرن السادس عشر، كما أصبح هذا الإتّهام المتبادل "الإسلامية"شائعاً لمدّة قرن بعد ذلك بين عدد كبير من المتخاصمين من الطائفتين.

كما كان الإسلام ونبيّه حاضرين في فكر وأعمال مفكري القرن الثامن عشرن وخاصة أصحاب مذهب التنوير وعلى رأسهم فولتير[(1)]. لقد استقطب النّبي محمد صلى الله عليه وسلم فكر ونظر هذا المفكر، فجعل منه بطلاً لمسرحيته التراجيدية "ماهومت"(محمد)، التسمية الكاملة للمسرحية (التعصّب أو النبي محمد)، لقد رأى فولتير في شخص النبي محمد نموذج التعصّب الديني والطغيان التيوقراطي، الذي يستغل مشاعر النّاس البسطاء ومعتقداتهم السّاذجة لأجل بلوغ غاياته الشّريرة، لقد كتب فولتير إلى بعض أصدقائه قائلاً: " إنّني أصوّر محمداً متعصّباً عنيفاً، وعاراً على الجنس البشري، الذي من تاجرٍ أصبح نبياًّ، مشرعاً وملكا، "محمّد" إنّه يجسّد خطر التعصّب[(2)]. وفي رسالته إلى ملك بروسيا حول تراجيديا: محمد"يشرح فولتر مرّة أخرى

---

(1) فولتير(1694-1778م) : اسمه الحقيقي فرانسوا ماري أوري فرنسي، أقام في بروسيا وسويسرا، ألّف في التاريخ والفلسفة والمسرح وكتب الشعر كان ممقوتاً من طرف الكتاب والمفكرين زيادة على رجال الدين من مؤلفاته رسائل فلسفية حول الأنجليز والقاموس الفلسفي ومحمدن وهو من أهّم وأشهر الفلاسفة التنويريين في القرن 18.

(2) أليكسي جورافسكي: مرجع سابق ص100.

مفهومه وتصوّره لشخصية النبي محمد قائلاً: (محمد عندي ليس سوى مراءٍ بيده سلاح) [(1)].

إنّ فولتير كما يتضح لم يكلّف نفسه عناء محاولة فهم ظروف نشأة الإسلام، وبالتّالي الوصول إلى إدراك موضوعي سليم للتاريخ ظهور العقيدة وجوهرها وجهد محمد–صلى الله عليه وسلم– من أجل نشر عقيدة التوحيد، كما أن فولتير بني على أساس"مادة الإسلام" حلولاً للمشكلات السياسية الاجتماعية التي سادت في عصره. ففي عمق عمله التراجيدي هذا يمكن للباحث أن يرى مشكلات أوربا(في القرن السابع والثامن عشر)، وعلى رأسها: قضايا الحاكم والشعب والدولة والكنيسة، كما أراد من خلاله أن يعالج النقائص والعيوب الاجتماعية والسلطة المطلقة المؤدية إلى الاستبداد، والتعصّب الديني، الذي يشكّل الأرضية المواتية لتلك السلطة الاستبدادية.وهكذا نجد أنّ المسرحية تعج بالأفكار والآراء التنويرية لعصر فولتير، مع أنّها بعنوان"محمد".

وإذا رجعنا إلى جملة ماكتب عن الإسلام في القرن الثامن عشر أمكننا القول: إنّ مفكري هذا القرن ألبسوا الإسلام حلّة مشحونة بمضمون ايديولوجي جديد(حيث يستخدم ليس فقط من قِبَل فرق وجماعات مسيحية مختلفة ومتعارضة في المناقشات والمناظرات اللاّهوتية والمذهبية فيما بينها وإنّما من طرف أنصار نظرية التقدّم في مجادلاتهم ضد القوى المحافظة والتقليدية)[(2)].

لقد وجدت النخبة المثقفة الأوربية في نقد الإسلام تعبيراً عن نزعاتها وميولها المعادية للهيئات الكنسية وللسلطات الملكية المطلقة. وهكذا أصبحت فكرة رجعية الإسلام وعدائيته للتقدم الإجتماعي والثقافي للشعوب، هي الفكرة السائدة عند مفكري القرن الثامن عشر، حيث صارت قالباً نمطياً شائعاً لأبعد الحدود واستمر إلى القرن التاسع عشر.

وفي القرن التاسع عشر اتّسعت دائرة الاهتمام بالعالم الإسلامي، عند مفكري أوربا، ولكن هذا الاهتمام كان بدافع المصالح الحيوية للبلدان الأوربية والاحتياجات العملية

(1) المرجع نفسه، ص 101.

(2) المرجع نفسه، ص 102.

التي أصبحت تُملِيها ظروف المرحلة. وهكذا شهدت بلدان الشرق موجة كبيرة وقوّية من الوافدين الأوربيين شملت العسكريين والتّجار والمبشّرين والإداريين والإطارات التقنية والعلماء من اختصاصات مختلفة، فانفتحت أمامهم بذلك إمكانات عريضة للتعرف على عالم مختلف، واتّسعت دائرة معارفهم عن البلدان الإسلامية وحياة شعوبها بسرعة فائقة. وقد ظهر للدوائر الاستراتيجية الغربية أنّ التفوق العسكري والتقني والاقتصادي غير كاف من أجل إدارة البلدان المستعمرة، والاحتفاظ بالتأثير اللاّزم في البلدان التابعة، فالمصالح الاستعمارية بحاجة إلى المعارف والمعطيات حول تلك البلدان.

وليس ثمّة شك في أنّ(الاستشراق) علم الاسلاميات الأوربي قدّم في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مساهمة ضخمة في مجال دراسة تاريخ الإسلام ثقافة وعقيدة(1).

إنّ (الاستشراق) علم الإسلاميات الأوربي شكّل عدداً ضخماً من الأساطير والخرافات الغربية الجديدة حول الإسلام، ولم يفعل شيئاً مهماً سوى أنّه أضفى صبغة علمية على الأضاليل القديمة والخرافات العتيقة عن الإسلام. ولقد قدّمت الدراسات الاستشراقية في القرن التاسع عشر بداية القرن العشرين، صورة مزدوجة عن الإسلام استقرت في الوعي الأوربي فصوّرته في الأولى على أنّه أكبر تهديد وعدو للمصالح الغربية لأنّه أكبر عامل في الوحدة الإسلامية، وصوّرته في الثانية على أنّه رسالة تعصّب معاديه لـ"رسالة أوربا التحضيرية" الإنسانية الكونية كما صوّرته بعض الدراسات المتأخرة على أنّه عامل استقرار وتثبيت، يمكن استخدامه في إطار إطاعة الحكام والمحافظة على السلطات الصّديقة(2).

وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر انقسام الفكر الأوربي إلى تيارين أساسيين تجاه الإسلام:

---

(1) أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية، ص105.

(2) د/ محمود حمدي زقزوق: الإسلام في تصوّرات الغرب،مكتبة وهبة القاهرة 1981 ص34.

– أمّا الأوّل: وهو الأوسع انتشاراً فقد بقي أصحابه أسرى للدوافع والأهواء الدّينية- الطائفية والمذهبية التقليدية نحو الإسلام والتي تعتمد أساساً على الشحن العاطفي وتأجيج المشاعر.

– وأمّا الثّاني: وهو الأصغر حجماً والأقل انتشاراً فقد استند أصحابه نسبياً إلى المنهج العلمي، وإلى تحليل المعطيات والوثائق الأصلية واستخدامها ولو بصورة جزئية، وقد ظهرت أصوات جديدة تطرح آراء وأفكاراً وتفسيرات فلسفية- لاهوتية حول نشوء الإسلام ودعوته ومرتكزاته العقائدية الأساسية.ومن أبرز أصحابها في أوائل القرن العشرين، الكاتب الكاثوليكي المستشرق**LOUIS MASSIGNON** لويس ما سينيون(1) الذي تعدّ إسهاماته العلمية، ومنطلقاته الروحية، ونشاطاته، بداية التحوّل الكاثوليكي بشأن الموقف من الإسلام.

فخلافاً للمنهج العدائي المسبق من طرف أغلبية المستشرقين [علماء الإسلاميات]، فإنّ لويس ما سينون بنى موقفه تجاه الإسلام، انطلاقاً من فكرة "الاتصال" و"الارتباط" الدّيني بين المسيحيين والمسلمين، وقد رأى أنّ في هذا الارتباط آفاقاً واقعية عريضة أمام الفهم المتبادل بين أتباع الديانتين الكونيتين، ومن هنا يمكن القول إنّ لويس ماسينون كان ذا فضل ريادي في البحث عن التقريب بين مصالح الأوربيين والمسلمين في مجال الاتصال والحوار الديني(2) وبهدف إقامة السّلام، الصّداقة ، والتّعاون بين الشعوب، بين أناس ينتمون إلى أمم وعقائد مختلفة أسّس لويس ماسينيون عدداً من الجمعيات الفرنسية العربية للتبادل الثقافي فقد أسّس في عام 1947م الجمعية الفرنسية الإسلامية، وقام بتأسيس جمعية فرنسا-المغرب سنة1953م كما ترأس في عام1954م رابطة أصدقاء غاندي، وكان عضواً في المجمعيين العربيين بدمشق والقاهرة.

---

(1) لويس ماسينيون: (1883-1962) مستشرق وعالم فرنسي تعلم العربية والفارسية والتركية والألمانية والانجليزية كان عضواً في المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة، عني بالآثار القديمة والتنقيب عنها، أشهر أعماله الاستشراقية كانت حول الحلاج.

(2) أليكسي جورافسكي: مرجع سابق ص121.

لقد خشي ماسينيون كثيراً مظاهر التّصادم بين الحضارة الغربية المعاصرة والمجتمع الإسلامي والتي كان من نتائجها، وفق رأيه-أن أصبح المجتمع الإسلامي أمام خطر حقيقي يتجلى في فقد مقوّمات شخصيته المميّزة، لقد كان بعض المستشرقين المعاصرين لماسينيون يرون أنّ العالم الإسلامي بإمكانه أن يتكيف مع الحداثة والمعاصرة ، من خلال تحديث الإسلام ذاته عن طريق تخليه عن أطروحات القرون الوسطى حول العالم، واستبدالها بمقولات أحدث وأكثر عصرية، وأن يكون ذلك عن طريق التعليم الغربي الذي من شأنه أن يحرّر تفكير المسلمين ويعيدهم تدريجياً إلى الأوربة، أما لويس ما سينيون فكان مقتنعاً، بأنّ مستقبل المسلمين متعلق بمدى وفائهم"للتقليد الابراهيمي"، وبمدى قدرتهم على إعادة بناء عالمهم الروحي الأصيل، وتجديد ثقافتهم الحقيقية، والأوربيون الذين يتحملون مسؤوليته تحطيم العالم الاسلامي وثقافته الأصيلة يجب أن يتواصلوا مع الإسلام ويسهموا في انبعاثه وإعادة بعث القيم التي أضاعها الغربيون لأنّ كل ماهو موجود من القيم عبارة عن ثروة إنسانية مشتركة[1].

وبالرغم من ذلك فإنّ ماسينيون لم يتخل عن بعض مقولات أسلافه من المستشرقين فقد اعتبر أنّ الإسلام يرجع من حيث منبعه إلى الصّلاة الثانية(الدّعاء) لابراهيم في بئر سبع عن ولده البكر إسماعيل وشعبه العرب[2]. وطبقاً لهذا فإنّ العرب هم أبناء الجارية الذين استثني أبوهم[إسماعيل]من" العهد" الذي أقيم مع إسحاق بن سارة[3].وبسبب ذلك العهد القديم لم يكن بمقدور إسماعيل الاشتراك في العهد الجديد وبناء عليه، فإنّ اليهود والمسيحيين دوناً عن المسلمين، ينتمون إلى الذرية"المختارة" وحسب رأي ماسينيون فإنّ الإسلام جاء بمنزلة ضمير لليهودية والمسيحية، وإنّ ظهوره في العالم إن هو إلاّ"إنذار إلهي"يذكّر اليهود ويحذرهم من عاقبة عدم اعترافهم بالمسيح

(1) أليكسي جورافسكي: مرجع سابق ص123.

(2) سفر التكوين إص17 الفقرتان17-18 و إص21 الفقرتان 19-21.

(3) سفر التكوين إصحاح17: فقرة:18-21.

رغم أنّه ولد وعاش بينهم، كما أنّه يحذّر المسيحيين من التواني في واجباتهم"بتنوير المخلوقات" وقيامهم بذلك الدور كشعب مختار[1].

وفي موضع آخر يرى ماسينيون أنّ بإمكان المسيحيين الإعتراف"بالمصداقية النسبية" للقرآن والإعتراف الجزئي"المشروط"بنبوة محمد.كما رأى ماسينيون أنّ مذهب الحلاج الصوفي الحلولي لا يتعارض أو يتناقض في أفكاره وتوجهاته العامة والأساسية مع الإسلام السُّني كما أنّ صاحبه الحلاج أقرب شخص مسلم إلى فكرة المسيحية حول وحدة اللآهوت والناسوت[2].

ومن هذا المنطلق أولى ماسينيون أهمية كبيرة لدراسة المسائل اللآهوتية العامة التي تتسم بأهمية رمزية، والتي تشكل في رأيه محطات أساسية في العلاقات بين الإسلام والمسيحية، كموضوع تبجيل مريم العذراء في الإسلام والمسيحية، وموضوع أهل الكهف، ومعاهدة نجران بين النبي صلى الله عليه وسلم والنصارى، وكان لويس ماسينيون يقول إنّ البحث المركّز في تلك المواضيع المشتركة بين الديانتين من شأنه تهيئة الأرضية الطيّبة لحوار لاهوتي مثمر بين المسيحية والإسلام.

ورغم أنّ رؤيته لم تتخلّص كلية من المنطلقات الفلسفية واللآهوتية المسيحية، فإنّه وفي الناحية العملية، كان يرى أنّه يوجد بين المسيحيين والمسلمين إمكان حقيقي للتفاهم الديني المتبادل، ولهذا كان يرى أنّه من الواجب على الكنيسة[الكاثوليكية]أن تعترف بالإسلام ومكانته المستقلة كديانة توحيدية. ومن هذا المنطلق تقدّم ماسينيون بمبادرات كثيرة لتغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية الرومانية[الفاتيكان]تجاه الإسلام[3].

كانت مراسلاته واتصالاته الواسعة بالهيئات الكاثوليكية العليا، بما في ذلك صداقته الشخصية مع جيوفاني باتيستا مونتيني(الذي أصبح فيما بعد البابا بولس السادس)

---

(1) ألكسي جورافسكي: مرجع سابق ص125 .

(2) المرجع نفسه، ص126 .

(3) المرجع نفسه، ص 128.

تمهيداً للمناقشات التي دارت في المجمع الفاتيكاني الثاني(1962–1965) حول العلاقة بين الكنيسة (الكاثوليكية) والمسلمين[1].

والواقع أنّ الكنيسة الكاثوليكية سايرت تياراً وسطاً، والذي مثّله كل من لويس غارديه وروبار كاسبار وجاك جوميه وجورج قنواني وغيرهم، وهو موقف الانفتاح والحوار مع المسلمين والذي ينطلق من ضرورة الحوار والتقارب مع المسلمين في المجالات الاجتماعية والثقافية والروحية، مع الابتعاد عن المنطقة التي لا تتحمّل المناقشة المفصّلة لحساسياتها، ونعني بها المسائل المتعلقة بالأسس والمبادئ العقيدية في كلتا الديانتين.

(1) أليكسي جورافسكي:مرجع سابق، ص 129.